المحاورات بين المصلح والمقلد

اصل الجفر ومعناه . اضافته الى الشيعة . انكار نسبته لجعفر الصادق . الرواية والمروى . الباطنية وعصمة آل البيت وعبادتهم . ادعاء الحاكم الالوهية . المتكلمون وردهم على المعتزلة دون الباطنية ونحوهم . سبب الجدل بين الفقهاء . المنار والعلماء والاولياء . اسناد الجفر الى سيدنا على ورده . معنى الجفر وموضوعه . ملحمة ابن عربى . التصوير والصور . صدق الجفر والملاحم وكذبها . الجفر والامراء والملوك . الزايرجة والرمل والمندل والبروج .

المحاورة الخامسة — الجفر والزايرجة

لما عاد الشيخ المقلد والشاب المصلح الى المحاورة ، والمضي فى المباحثة والمناظرة ، بدأ الاول باعادة الشكر والثناء على الثانى لاهدائه مقدمة ابن خلدون واظهار الاغتباط بها وقال

(المقلد) : انى نظرت فى فهرس المقدمة قبل المطالعة فرأيت ذكر الجفر والزايرجة فكان هـذان البحثان اول شىء قرأته فى هذا الكتاب ليكون لى منهما مادة من جنس مادتك اناظرك بها . فأما الجفر فألفيت مؤلفها يميل الى انكاره ويذكر ان هارون بن سعيد العجلي رأس الزيدية (فرقة من الشيعة) هو الذى يروي كتاب الجفر عن جعفر الصادق (رضى الله عنه) وانه كان مبيناً لما سيقع لاهل البيت على العموم ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص بحسب ما اعطاهم الكشف الذى يقع لمثلهم من الاولياء . قال : وكان مكتوباً عند جعفر فى جلد ثور صغير فرواه عنه هارون العجلي وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذى كتب فيه لان الجفر

فى اللغة هو الصغير وصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما فى باطنه من غرائب المعانى مروية عن جعفر الصادق . وبعد هذا أنكر ابن خلدون صحة الرواية فى ذلك مع انه اثبت الكرامة لجعفر وآله عليهم الرضوان ولا اخال الا انك تبعت هذا الرجل فى انكار الجفر وان كان عدم صحة الرواية لا يقتضى عدم صحة المرويّ فى الواقع ونفس الامر . واما كلامه فى الزايرجة فلا اخفى عنك انى لم افهمه

(المصلح) : انى اود لو تطلع على كل ما اطلعت انا عليه مما نتكلم فيه لما فى ذلك من الاقتصاد فى زمن المناظرة ومن سهولة الاقناع والاقتناع ولا يختلجن فى نفسك انى اقلد ابن خلدون او غيره فى شيء مما اقول وانما اطلع على ما نقله هو وغيره واعتقد ما يترجح عندى بعد النظر الطويل . واما قولك : ان عدم صحة الرواية لا يقتضى عدم صحة المرويّ فلعلك تريد به ان عدم العلم بصحتها لا يقتضى ان المرويّ غير واقع لجواز وقوعه مع عدم تصدى الثقات لنقله وروايته ولكن لا يسعك ان تنكر ان ما لا يعلم الا من طريق النقل لا يمكن الحكم بثبوته الا بالرواية الصحيحة فاذا لم توجد لا يسمح لنا الدين ولا العقل ان نقول بثبوته واذا انكرناه بناء على ان الاصل عدمه لا نُسئل ولا نلام . فكيف اذا وجد من التُّهم ما يقتضى الانكار وهو ما يقصه علينا التاريخ من سيرة فرق الشيعة المنتحلين لهذه البدع لا سيما فى عهد العبيديين الذين روجوا مذهب الباطنية الذى زلزل دين الاسلام زلزالاً وخرج بمسلمى الشيعة من الاعتقاد بعصمة آل البيت والحاقهم فى ذلك بالانبياء الى عبادتهم والقول بالوهيتهم فاذا كان شاعر المعز يقول فى مظلته

أمديرها من حيث دار لَشَدَّ ما زاحمت تحت ركابه جبريلا

ويقول

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

فان الحاكم لا يزال يعبد الى اليوم وكل ما قرأته عليك فى وصف الله تعالى من رسالة دين الدروز فى محاورتنا الماضية فانهم يريدون به الحاكم العبيدى وكذلك النصيرية يعبدونه وهم اشد الناس عناية بتعرف علم الغيب من الجفر والنجوم

(المقلد) : انى لأعجب لعلمائنا من المتكلمين والفقهاء كيف يسكتون عن هؤلاء الضالين المضلين ولا يزال يرد الاولون على المعتزلة وقد انقرضوا وانقرض مذهبهم ويرد الفقهاء بعضهم على بعض وكلهم من اهل السنة والجماعة .

(المصلح) : ان اكثر ماتراه من الجدل والرد والانكار من العلماء بعضهم على بعض ناشيء عن الاهواء فان المعتزلة هم السبب فى وجود علم الكلام — خاضوا فى امور لم يخض فيها السلف الصالح فانبرى آخرون لمناضلتهم وبعد ذلك تداعت دعائم العلم والنظر ولما يبق للمقلد من المتأخرين الا حكاية الفاظ المتقدمين وان ذهبت فائدتها بذهاب وقتها والاكتفاء بالسكوت عن البدع والضلالات التى حدثت بعد اولئك الائمة كالاشعري واصحابه وتكفير من يسأل عنها او تضليله الا ان تنشر وتلوّن بلون الدين ويوجد لها اتباع وانصار كبدع اهل الطريق فحينئذ يناضلون عنها بالتحريف والتأويل ، ويعكسون الحكم فيرمون منكرها بالكفر او التضليل ، كما هو مشاهد فى كل جيل وقبيل ، وأما الفقهاء فقد بين حجة الاسلام الغزالى في كتاب العلم من احياء علوم الدين ان السبب فى مجادلاتهم ومناضلاتهم

هو التزلف الى الامراء والخلفاء ، والتزاحم على منصب القضاء ، ولذلك تجد الوطيس لم يحم الا بين الحنفية والشافعية لأن المناصب كانت محصورة فيهم . على ان الحكم عليهم بالسكوت لا يصح على عمومه فلا بد فى كل عصر من فرد او افراد ينصرون الحق ويخذلون الباطل ولكن غلبة الجهل على الأمة تسوّل لها الباطل وتزينه فى نفوسها فتعمى عن الحق ولا تبصره وقد نشر فى الجزء الثالث من منار السنة الثالثة نبذة فى حكم الشعوذة والروحانيات والعزائم والطلاسم نقل فيها عن الفقيه ابن حجر الهيتمى ان الاشتغال بالروحانيات هو الذى اضل الحاكم العبيدي حتى ادّعى الالوهية وفعل افاعيل من لا يؤمن بالآخرة . فأحب ان تقرأ تلك النبذة

(المقلد) : ان المنار جريدة ضارّة تهين العلماء وتنكر الاولياء فلا احب ان أراها بل احمد الله انى لم اطلع عليها قط

(المصلح) : سبحان الله : كيف يصح لك وانت من اهل علم الدين ان تحكم على ما لم تر والله يأمرك ان تتبيّن وتتثبت فيما يجيئك من الانباء عن الفساق الذين يغتابون الناس ويسمونهم بالنميمة . لا توجد عندنا جريدة تعلي من قدر العلماء كالمنار لانها تجعل فى ايديهم زمام الامة وتنيط بهم أمر اصلاحها وارجاعها الى مجدها الاول باصلاح التربية والتعليم ولا يذمه منهم الا من يشعر من نفسه بالقصور عن القيام بشيء من هذا الاصلاح واما الاولياء فالمنار لا ينكرهم وانما ينهى عن اطرائهم والغلو فيهم بأن يدعون مع الله تعالى ويطلب منهم مالا يطلب الا منه سبحانه ولولا خشية الخروج عن موضوعنا لقرأت لك بعض كلامه فى ذلك

(المقلد) : كنت اسمع أن الجفر مأخوذ عن سيدنا على كرم الله وجهه

وينسبون للشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي قدس سره جفراً يسمونه الشجرة النعمانية ويقولون انه يحتوى على جميع الحوادث العظيمة الى يوم القيامة .

(المصلح): نعم ان من الناس من يزعم ما ذكرت كالجرجاني. وقال ابن طلحة الجفر والجامعة كتابان جليلان احدهما ذكره الامام علي وهو يخطب على المنبر فى الكوفة والآخر أسرَّ به اليه النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بتدوينه فكتبه عليٌّ حروفاً متفرقة على طريقة سفر آدم فى جفر فاشتهر بين الناس لانه وجد فيه ما جرى للأولين والآخرين . اقول وكانوا يزعمون ان الجفر إخبار عن المغيبات صريحة او رموزاً ولما ارادوا ان يجعلوه علماً أدخلوه فى علم الحرف والعدد الذى هو بعد الروحانيات فى المرتبة واختلفوا فى وضعه وتكسيره فمنهم من كسره بالتكسير الصغير وزعموا انه جعفر الصادق ومنهم من يضعه بالتكسير المتوسط وهو الذى توضع به الاوفاق الحرفية ومنهم من يضعه بطريق التركيب الحرفى او العددي . ومن الناس من خلط بين الجفر والتنجيم وسمى كل ما كتب فى الملاحم والحدثان جفراً وان كان مبنياً على القرانات . ومنهم من يعتقد ان الجفر لا يكون الا عن كشف وان الرموز الحرفية والعددية وغيرها لم يضعها الشيخ محي الدين بن عربي فى جفره الا لاجل الابهام لكيلا يطلع الناس على الغيب فتفسد شؤنهم وقد اطلعت انا على الشجرة النعمانية فاذا هي رموز لا يفهم منها شيء . وبالجملة لم يثبت ان لهذا الجفر اصلاً علمياً يرجع اليه فى معرفة الغيب والا لارتقى وتسنى تحصيله لكل احد . ولم يعط الله تعالى علم الغيب لاحد الا ما أخبر به بعض الانبياء عليهم السلام من احوال الآخرة والملائكة والجن

مما ثبت في الوحي فنصدق بالقطعيّ منه إيماناً وتسليماً . نعم لا ننكر ان في الناس محدّثين وملهمين يخبرون بشيء ان سيقع فيقع كما قالوا لكن هذا نادر ومخصوص بالجزئيات . قال تعالى « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول »

(المقلد) : رأيت في مقدمة ابن خلدون انه وقف على ملحمة منسوبة لابن العربي الحاتمي الذي هو الشيخ الاكبر فيها اوفاق عددية ورموز ملغوزة واشكال حيوانات تامة ورؤس مقطعة وتماثيل من حيوانات غريبة . وقد انكرها ابن خلدون وقال الغالب انها غير صحيحة لانها لم تنشأ عن اصل علميّ من نجامة ولا غيرها . وكان الاولى ان ينكر نسبها للشيخ الاكبر لوجود الصور والتماثيل فيها لان التصوير حرام يجل عنه ولىّ من اكابر الاولياء .

(المصلح) : ربما يعتقد ابن عربي وابن خلدون ان الصور المحرّمة هي ما لها علاقة بالدين كصور الانبياء والاولياء لانها ربما تعظم تعظيماً دينياً فتكون أوثاناً تعبد عبادة لم يأذن بها الله تعالى فالنهي عن التصوير كالنهي عن بناء القبور وتشريفها واتخاذ المساجد عليها لا سيما قبور الانبياء والصالحين فقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك بها واما الصور التي لا علاقة لها بالدين ولا هي مظنة التعظيم فلا تدخل في علة النهي . اما قرأت في صحيح البخاريّ وغيره حديث القرام (الستار) المصور الذي كان عند عائشة رضي الله عنها وكيف امر النبي صلى الله عليه وسلم بهتكه لانه كان منصوباً كالصور التي كانت تعبد في الكعبة وطمسها ثم لما زالت صفة التعظيم باتخاذ القرام وسادة كان عليه السلام يتكئ عليها مع بقاء الصور فيها

(المقلد) : هـذا تعليل مخالف لكلام الفقهاء وأجلُّ الشيخ الاكبر عن القول به

(المصلح) : أما علمت ان الشيخ الاكبر غير مقلد للفقهاء ولا لغيرهم وانه صرح فى فاتحة الفتوحات بانه لا يتقيد بمذهب سني ولا معتزلي ولا غير ذلك وصرح بان ليس كل ما يقوله المعتزلي باطلاً الخ وعلم ان بعض الناس ينسبه الى مذهب ابن حزم الظاهري فانكر ذلك وانشد

ويعزونى الى قول ابن حزم ولست اقول ما قال ابن حزم

(المقلد) : لقد صح من اخبار الجفر شيء كثير وذلك كقول الشيخ الاكبر فى الشجرة النعمانية على ما يقولون : « اذا دخل س فى ش . ظهر قبر محي الدين . » وقد كان كذلك فان السلطان سليماً هو الذى اظهر قبر الشيخ عند ما دخل الشام وبناه واجرى عليه الاوقاف

(المصلح) : يوجد فى هذه الجفور الرمزية وغير الرمزية اخبار تقع وقد رأيت فى جفر منسوب للامام على كرم الله وجهه «ويل للاسكندرية ، من الاساطيل البحرية ، » وفى موضع آخر « ويل للقاهرة ، من العاهرة» وذلك ان من يخبر بأشياء كثيرة من شأنها ان تقع لا بد ان يصدق بعضها ولو كان الجفر حقاً لوقع كل ما اخبر به . واما الرموز فمجال التضليل فيها واسع وميدانه فسيح لان هذه الحروف تصدق على اشياء كثيرة وتنطبق عليها من غير ان تكون موضوعة لها . ولم يوضع ذلك الا لخداع الامراء والملوك لابتزاز اموالهم وابتغاء الزلفى عندهم وما اراك الا قد قرأت قصة الدانيالى فى مقدمة ابن خلدون[1] وما ذكره عن ملحمة الباجربقى الصوفى[2] .

(١) قال ابن خلدون : حكى المؤرخون لاخبار بغداد انه كان بها ايام المقتدر

وقد ذكرت لك من قبل ان كلمة تصدق تخدع الجهلاء فيظنون ان الكلام كله صحيح

(المقلد) : نعم قرأت ذلك وانى اخبرك بخبر من هذا القبيل جرى لصاحبي الشيخ المصرى العالم بالزايرجه والحرف ولكنه من الاسرار التى لا اسمح لك ان تذكرها عنى . ذلك ان الامير . . . تنازع هو وحرمه فى امر ذي بال لا ينبغى التصريح به وانما يقال فى الجملة انه ارتكب ما يوجب حداً شديداً فعاقبته عليه بجناية ساءته وان كانت خيراً له وانكرت عليه ان العقوبة من قبلها فاستحضر الشيخ ليكشف له الحقيقة بالزايرجة فلما وقف على القصة بالاجمال والتمويه منهم علم ان المصلحة والمنفعة فى تبرئة الحرم المصون مما يتهمها به الامير فزعم بعد اعماله وحسابه ان الامر جاء من طبيعته لا من قبلها وانصرف بمال كثير

(الخليفة) وراق ذكى يعرف بالدانيالي يبل الاوراق ويكتب فيها بخط عتيق يرمز فيه بحروف من اسماء اهل الدولة ويشير بها الى ما يعرف ميلهم اليه من احوال الرفعة والجاه كانها ملاحم ويحصل على ما يريده منهم من الدنيا وانه وضع فى بعض دفاتره (م) مكررة ثلاث مرات وجاء به الى مفلح مولى المقتدر فقال له هذا كناية عنك وهو مفلح مولى المقتدر وذكر عنه ما يرضاه وينالة من الدولة ونصب لذلك علامات يموه بها عليه فبذل له ما اغناه به ثم وضعه للوزير ابن القاسم بن وهب على مفلح هذا وكان معزولاً فجاءه باوراق مثلها وذكر اسم الوزير بمثل هذه الحروف وبعلامات ذكرها وانه يلى الوزارة للثانى عشر من الخلفاء وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعداء وتعمر الدنيا فى ايامه واوقف مفلحاً على هذه الاوراق وذكر فيها كوائن أخرى وملاحم من هذا النوع مما وقع ومما لم يقع ونسب جميعه الى دانيال فأعجب به مفلح ووقف عليه المقتدر واهتدى من تلك الامور والعلامات الى ابن وهب وكان

(المصلح) : انظر الى امراء المشرق وملوكه الذين تروج عندهم هذه الخزعبلات كيف يزدادون تعاسة وشقاء عاماً بعد عام فستقبلهم دائماً شر من ماضيهم وانظر الى ملوك اوروبا الذين يستعدون للمستقبل بما تعطيهم العلوم الصحيحة وسنن الكون كيف يزدادون قوة وعزة وارتقاء

(المقلد) : هل الرمل من قبيل الزايرجه والجفر فانى اراك درست هذه الاشياء .

(المصلح) : الزايرجه ضرب من اعمال الحساب وتكسير الحروف يقصد به معرفة الغيب وعدّه ابن خلدون من فروع السيمياء . والرمل من

ذلك سبباً لوزارته بمثل هذه الحيلة العريقة فى الكذب والجهل بمثل هذه الالغاز اه

٢ وقال قبل ذلك : ووقفت بالمشرق ايضاً على ملحمة من حدثان دولة الترك منسوبة الى رجل من الصوفية يسمى الباجريقى وكلها الغاز بالحروف وذكر منها ابيات منها بعد ذكر رجل يسمى الاعرج الكلبى يأتي من المشرق :

اذا اتى زلزلت ياويح مصر من الـ زلزال ما زال حاء غير مقتطن
طاء وظاء وعين كلهم حبسوا هلكاً وينفق اموالاً بلا ثمن

ثم ساق حكاية الدانيالى وقال :

والظاهر ان هذه الملحمة التى ينسبونها الى الباجريقى من هذا النوع . ولقد سألت عنها اكمل الدين بن شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه الملحمة وعن هذا الرجل الذى تنسب اليه من الصوفية وهو الباجريقى وكان عارفاً بطرائقهم فقال : «كان من القلندرية المبتدعة في حلق اللحية وكان يتحدث عما يكون بطريق الكشف يومىء الى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحروف يعينها فى ضمنها لمن يراه منهم وربما يظهر نظم ذلك فى ابيات قليلة كان يشاهدها فتتوقف عنه وولع الناس بها وجعلوها ملحمة مرموزة وهو امر ممتنع اذ الرمز انما يهدي الى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له واما مثل هذه الحروف فدلالتها على المراد منها مخصوصة بهذا النظم لا يتجاوزه » . فرأيت من كلام هذا الرجل الفاضل شفاء لما كان فى النفس من امر هذه الملحمة وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله . والله سبحانه وتعالى اعلم

قبيل الزايرجه قال ابن خلدون : استنبطه قوم من عامة المنجمين وسموه خط الرمل نسبة الى المادة التي يضعون فيها عملهم . وفصل القول في محصول صناعتهم الباطلة ولعلك قرأته فهو صناعة والغيب لا يمكن ان يعرف بصناعة ومن آية بطلان هذا العمل انه لا يروج الا في سوق الجهالة كما قال ابن خلدون في اهله وهو : « ولقد نجد في المدن صنفاً من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب امرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة وامثال ذلك ما بين خط في الرمل ويسمونه المنجم وطرق بالحصى والحبوب ويسمونه الحاسب ونظر في المرايا والمياه ويسمونه ضارب المندل وهو من المنكرات الفاشية في الامصار لما تقرر في الشريعة من ذم ذلك وان البشر محجوبون عن الغيب » الخ ما قرأت وانت ترى انهم زادوا في هذا الزمان اموراً اخرى كالنظر في ورق اللعب والنظر في الكف . ومن ذلك كتاب البروج لابي معشر وغيره يحسبون اسم الرجل واسم امه بالجمّل ويسقطون من المجموع اثنى عشر مرة بعد اخرى حتى لا يبقى الا اثنى عشر او دونها فينظرون في الباب الذي يوافق العدد الباقي ويتعرفون منه تاريخ ذلك الرجل في جميع شؤنه . وحسبك في فساد هذا ان المتفقين في اسم الاب والأم تكون شؤنهم متحدة وانا لنشاهد فيهم السعيد والشقي والغني والفقير والمالك والمملوك فحسبنا يا مولاي بحثاً في هذا الهذيان ولنتكلم في الجد الذي هو اصل موضوعونا . فقبل الشيخ منه ذلك وانصرفا على موعد .